لماذا فشلوا في حرب ١٩٦٧؟

هيكل يعترف:

لم يملك «هيكل» الأهرام ـ المحامي الأول عن الثورية المصرية ـ برغم تبريراته الواسعة للهزيمة إلاَّ أن يعترف بكثير من الأخطاء وكثير من الانحرافات التي ارتكبتها القيادات الثورية، فيقول في مقالاته في شهر ١٠/١٩٦٧ :

«الحقيقة الأولى: أننا كنا نواجه عدواً تلقى مساعدات غير عادية.

الحقيقة الثانية: أن عدونا تصرف بما حصل عليه من الإمكانيات ببراعة غير عادية.

الحقيقة الثالثة: أننا تصرفنا أمامه بقصور غير عادي.

إن الضربة التي فاجأتنا كانت متوقعة بالطريقة التي جاءت بها تقريباً وفي الوقت الذي جاءت فيه تقريباً أيضاً.

ولكن الفشل من توقيها كان مذهلاً!

لقد صعق الجنرال «موردخاي هود قائد طيران العدو الذي قام بالعملية على أساس نجاحه من الضربة الأولى ـ صعق قبل غيره عندما جاءته نتائجها.

وكان قوله الذي نقل عنه: إن ما حدث يفوق أكثر أحلامي جنوناً!! قال هيكل: ولذلك قلت: إن حادث ٥ يونيو ٦٧ غير معقول، إلى جانب أنه غير مفهوم، فضلاً عن أنه ـ قبل ذلك ـ غير مسبوق، وغير ملحوق!

«ويخيل إليّ أنه لا بديل لأن نتبين صراحة: أن الوطنية ليست صراخاً، وليست حمّى، إنما الوطنية إيمان.. والإيمان معرفة.. والمعرفة فهم!

ويقول هيكل في ١٠ ـ ١١ ـ ١٩٦٧: «لقد تيقنت الأمة العربية أنه ليس بالشعارات تتحقق أمانيّ الشعوب، ولكن بالفعل، وليس بالخلط، ولكن بالوضوح!

ويقول في ١٩٦٧/١١/١٧: «إن أجهزة المخابرات إذا تركت بغير رقابة كافية تكتسب في نموها طبيعة سرطانية مدمرة.

«إن الجبهة الداخلية لا تستطيع أن تستفيد أي شيء من جو الإبهام والغموض وهي تستطيع أن تستفيد كل شيء من جو الانفتاح والوضوح!»

ويقول: «إن الذين يمارسون الإرهاب ليسوا أصحاب عقائد مهما ادعوا... ولا أقول أكثر من ذلك».

وفي ١٩٦٨/٦/٢٨ يقول: إن مفاجأة صباح ٥ يونيو حطمت الطيران على الأرض في ساعات وأغلب الظن، وعلى أساس الظروف الموضوعية وحدها، فإن هذا الطيران بغير مفاجأة كان سيضرب من الجو خلال أيام على أساس الأوضاع التي دخل بها المعركة».

وفي ١٩٦٨/٦/٣٠: «إن خطأنا الأول هو أن ألفاظنا جميعاً كانت تعبّر في كثير من الأحيان عن أكثر مما نقصده، وأكثر مما نستطيعه!».

ويقول الماركسي المعروف لطفي الخولي ـ رئيس تحرير «الطليعة» المصري ـ في ملحق الأنوار بتاريخ ١٩٦٨/١٢/١٥: يتحدث عن المؤسسات الحزبية: أليست هي الأخيرة مهزومة الآن؟ ألم تسقط مع من سقط في ٥ حزيران، بل لعلها قد سقطت قبل ذلك، بدليل أن ٥ حزيران كان ـ ولو أنها في المستوى المطلوب ـ لما كان؟...

وجنبلاط يدين الثورية والثوريين:

وكتب الأستاذ كمال جنبلاط رئيس «الحزب التقدمي الاشتراكي» في لبنان مقالاً عن «الذهنية العربية والنكسة المستمرة» قوبل بالاهتمام الكبير في الأوساط الثورية وغير الثورية على السواء، ومما جاء في هذا المقال الخطير:

جاءت فئة اجتماعية من المثقفين العرب ونصف المثقفين تقلّد سطحياً واعتباطياً مسالك الغرب وتحقيقاته ومشاريعه ومثالاته الفكرية، دون أن تتلمس مصادر العلم والتقنية والخبرة في اعتماد ذلك وتنفيذه، ودون أن تختار لذلك الموافقة والملاءمة في ظروف التحقيق المادية والمعنوية، فنجم عن ذلك تخريب واسع في مؤسساتنا الغابرة وفي طاقاتنا الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والقيادية بشكل شامل، دون أن تستطيع أن تبرز المؤسسات والقيادات الجديدة بشكل تقدمي إيجابي ذي جدوى.

«ماذا تفيد الاشتراكية ذاتها أو غيرها من الأنظمة إذا كان أربابها سيطبقونها بشكل مغاير لقواعد العلم والجدوى القصوى في الإنتاج والعمل والازدهار وتنظيم وتنمية القوة المعنوية للشعوب. وماذا تفيد الاشتراكية أو سواها من الأنظمة إذا كانت لن تحول دون الفقر والجهل وتكفل التنمية الحضارية والتقوية المعنوية لطاقات الشعوب النفسية والمادية.

«أخذنا منذ سنتين أو ثلاث نتلهى بشعارات سحرية وميثولوجية أخرى عممتها ـ للاستغلال الرخيص لعواطف الناس ـ حركات حزبية في الشرق العربي، أطلقت في ما أطلقته تعابير ومفاهيم أخذت تنحدر من التصورالثوري الطوباوي الواحد، فامتلأت صحفنا وأنديتنا وعقول معظم مثقفينا بكلمات جوفاء، ترددها أصداء وخلايا جوفاء في العقل والخاطر السحري الميثولوجي لنفسيتنا: الثورية والثوريون، والتحرر والتحرريون، والذهنية الثورية، والفكر الثوري، والعقائد الثورية، والجماهير الثورية، والعلم الثوري، والفن الثوري، والنهج الثوري، والمجتمع الثوري الخ.. حتى أصبحت كلمة ثورة وثورية تلصق بأي اسم ومفهوم آخر. وأضحت حشواً في كلماتنا وفي كتاباتنا وفي عقولنا.

إن التحدث عن الثورية يغطي، أو هو مركب تعويض وتغطية عن عجزنا عن القيام بواجب العمل الاجتماعي والسياسي المباشر، وعن الاضطلاع بطاقة العلم العقلانية الكاملة التي هي الأساس الحقيقي لكل تقدم في العالم الحديث. فيعتقد المتحدث عن الثورة أنه قام بواجبه عندما استخدم كلمات الثورية والتحرر وسواها من التعابير المشتقة عنها أو الملصقة بها، وهو لا يفطن أنه باستخدامه هذه التعابير بهذا الخليط غير المتبصر، يجعل هذه التعابير والمفاهيم مبتذلة، فلا يعود لهذه الكلمات أية قيمة في تحريك الجماهير، وفي تطوير ذهنية الفرد والذهنية العامة، وفي دفع المجتمع نحو التقدم والازدهار الحقيقي».

وصلاح البيطار أيضاً:

ومثل كما جنبلاط الأستاذ صلاح البيطار ـ أحد مؤسسي «حزب البعث العربي الاشتراكي» في سوريا ورئيس وزراء حكمه لعدة مرات الذي أصدر بياناً ضافياً أعلن فيه انفصاله عن الحزب، وحلل أخطاءه وانحرافاته قبل حركة ٢٣ شباط وبعدها، واستطرد إلى إدانة جميع الحركات الثورية والعقائدية الأخرى التي أثبتت إخفاقها الذريع، وعجزها التاريخي عن الاندماج بالشعب وعن تحريك جماهيره، مهيباً بالثوريين المناضلين في جميع الأحزاب إلى الانفصال عن أحزابهم والعمل على إنشاء حركة عربية جديدة للوطن العربي كله، كي لا تبقى الساحة السياسية فارغة ولا يبقى الشعب غارقاً في الظلام. وهذا بعض ما جاء في هذا البيان:

«كنت أول من حذر إلى حتمية سقوط الحزب في ما سقط فيه بعدئذٍ، من تخبط في متاهات الفكر وجهالات السياسة وصنمية التنظيم، إلى سيطرة الطفولة اليسارية والعقلية العسكرية والمغامرة الانتهازية، إلى الارتداد عن المواقع القومية الوحدوية والديمقراطية الشعبية، إلى التسلح بالهوس الثوري والثرثرة الاشتراكية لإرهاب القوى الثورية وتصفية الفئات العسكرية والمدنية، وضرب الوحدة الوطنية للشعب.. وعسكرية الحزب، وتسيير أعضائه ومن ورائهم الشعب بالعصا والقوة: على أن تحذيري لا يعني تبرئة نفسي من حملي نصيبي من المسؤولية.

«جاء انقلاب الثالث والعشرين من شباط والمرحلة التي تلته ليفتحا عيون غالبية العقائديين المناضلين الحزبيين لا على حقيقة الحزب الجديد وترديه فحسب، بل وأيضاً على واقع الأمراض والعلل التي استشرت في فكر الحزب ونهجه كله أنى وجد، وفي بنيته وإطاراته وأساليبه في أية مجموعة من مجموعاته، فالجمود العقائدي والعقلية المتحجرة، وأساليب العمل المتخلفة، وما تطفّل عليها من مراهقة فكرية وثرثرة اشتراكية ووصولية انتهازية، ومن عبادة صنمية للأشكال الجامدة، كل ذلك أدى بالمنظمات الحزبية كلها إلى أن تكون بؤرة النزعات الانشقاقية والصراعات الفئوية والتكتلات الشخصية، وإلى أن تسودها كلها الروح العشائرية والبيروقراطية والفاشية والغوغائية.

«وجاءت أيام الهزيمة القومية لتؤكد ذلك وتكرّسه، ولتكشف للجميع عن غياب الحزب بشتى قياداته ومؤسساته عن المعركة المصيرية التي كان، مع ذلك، لا يفتأ يدعو الشعب إلى خوضها، ثم لتعطي الدليل القاطع على عجز هذا الإطار الحزبي عن حمل التبعات الكبرى في وجه التحديات المصيرية.

على أن النكبة القومية لم تكشف عن عجز حزب البعث وحده، فالأحزاب والمنظمات العربية العقائدية الأخرى لم تكن أحسن منه حظاً. ولا غرابة في ذلك إذا عرفنا أن أمراضاً وعللاً من النوع ذاته الذي فتك بحزب البعث قد فتكت بالأحزاب الأخرى.

ولقد كشف الواقع الموضوعي، عن أن جميع هذه الأحزاب والحركات كانت إبان النكبة في حالة غيبوبة، يوم كان الشعب في قمة حضوره ويقظته، ويوم كان وحيداً من دون قيادة حزبية ثورية تقود حركته، ويوم وجد نفسه في واد والأحزاب والحركات في وادٍ آخر!».

هذه نماذج من النقد الذاتي سجلها عدد من أقطاب الحركة الثورية العربية، وقد أجمعت كلها على أن أخطاء هذه الحركة هي التي دفعت بنا إلى كارثة الخامس من حزيران... ونحن ـ كما قال الأستاذ قدري قلعجي ـ نرحب ولا شك بمثل هذه الاعترافات تصدر عن «أهل البيت» لأنهم أدرى بما فيه... ولو قلنا ما قالوه عن

الصنمية والغوغائية والمواقف الانتهازية والشعارات الجوفاء التي سيطرت على العالم العربي باسم الثورية والتقدمية والعقائدية، وعزلت بهذه الذريعة قوى الفكر الحر، وعطلت الطاقات الوطنية البناءة، لاتهمنا بالرجعية والعمالة والخيانة، ولكن صدورها عن روادها الذين زرعوا غراسها، وبشروا بثمارها، ووعدوا بجناتها، كفيل بأن يمزق القناع ويزيح الستار، ويحطم الأسطورة»[1].

بين الأعراض الظاهرة والأسباب الدفينة:

بيد أننا مع ترحيبنا بهذا الذي سموه «النقد الذاتي» وبهذه الاعترافات «الثورية» نرى أنها جميعاً لم تشخص حقيقة الداء، ولم تهتد إلى لبّ المشكلة، إنها تحدثت عن أعراض المرض، لا عن أسبابه الدفينة الكامنة وراء المظاهر. ولما جهلوا حقيقة العلّة لم يهتدوا قطعاً إلى وصف الدواء.

إن العلّة الحقيقية التي تعانيها هذه الأمة، والتي جهلها أو تجاهلها الاشتراكيون الثوريون ـ حتى الذين اعترفوا منهم بعجز الثورية العربية وإفلاسها ـ أنهم حاولوا جهد طاقتهم أن يخلعواهذه الأمة من عقيدتها الأصيلة، ليفرضوا عليها عقيدة دخيلة، وأن يسوقوها بالدبابات والمدافع تارة، وبالإذاعات والإعلام طوراً، لتعيش في إطار أيديولوجيات مستوردة مصطنعة، تصادم معتقدات الأمة وشرائعها وأفكارها ومشاعرها وقيمها وأخلاقها وتقاليدها.

وليس من السهل ولا من الممكن أن تتخلى الأمة عن عقيدتها وشريعتها ومثلها ورسالتها، فتتخلى بذلك عن مقومات حياتها. ولهذا لم يكن بد من الصدام والصراع الظاهر والخفي بين الأمة وبين هؤلاء الذين حرفوا مسيرتها، ونتيجة هذا كله الحيرة والتمزق وبعثرة الجهود والأموال والأعمار في غير جدوى. بل في الهدم والتخريب لا في البناء والإنشاء.

إن هؤلاء الثوريين الاشتراكيين ـ إن افترضنا إخلاصهم ـ لم يفهموا أمتهم،

---

(١) مقدمة وثائق النكسة ص ١٠.

ولم يعرفوا حقيقتها... كما أنهم أيضاً لم يعرفوا عدوهم الذي يتحدى بقلته كثرتهم، وبرقعته الضيقة أقطارهم الواسعة!

لقد زعموا أن عدوهم (إسرائيل) أداة في يد الامبريالية، ونسوا أن الوقائع كلها تثبت العكس: إن الامبريالية أداة في خدمة الصهيونية العالمية ودولتها.

ولقد ادعوا أن إسرائيل مجرد دولة عنصرية، وأن الصهيونية حركة قومية سياسية فحسب، وأغفلوا العامل الديني في قيام الصهيونية وفي تكوين إسرائيل، كما أغفلوا هذا العامل الديني في توجيه شعوبهم وجيوشهم، على حين عنيت به إسرائيل كل العناية، فربحت وخسروا وانتصرت وانهزموا.

كتب بن غوريون في رسالته إلى الرئيس ديغول في مطلع عام ١٩٦٨ يقول:

«إن سر بقائنا بعد التدميرين البابلي والروماني وحقد المسيحيين الذين أحاطوا بنا ألف عام، يكمن في صلاتنا الروحية بالكتاب المقدّس، وعندما جاءت اللجنة الملكية البريطانية إلى القدس في آخر سنة ١٩٣٦ لتدرس مستقبل الانتداب قلت لها: الانتداب الخاص بنا هو التوراة. لقد استخرجنا منه قوتنا لنقاوم عالماً عادياً، ولنستمر في الإيمان بعودتنا إلى بلادنا»[1].

وفي الصفحات الأخيرة من مذكرات «وايزمان» ما يعتبر وصية وتوجيهاً عاماً لإسرائيل.

«هدفنا هو بناء حضارة تقوم على المثل الصارمة للآداب اليهودية، عن تلك المثل يجب ألا نحيد، كما فعلت بعض العناصر في حياة الوطن القومي القصيرة، بإحناء الركب أمام آلهة غرباء. لقد كان الأنبياء دائماً يؤنبون الشعب اليهودي بأشد القسوة من أجل هذه النزعة. وكلما عاد الشعب إلى الوثنية وكلما ارتد كان يعاقب من قبل إلـه إسرائيل الشديد، وأنه من الصعب القول فيما إذا كان سيظهر أنبياء بين اليهود في المستقبل القريب. ولكنهم إذا اختاروا الحياة الصادقة الصعبة النقية على

(١) جريدة لوموند الفرنسية ١٠/١/١٩٦٨.

الأرض في منازل مبنية على المبادىء القديمة، وإذا استهدفوا في نشاطهم قيماً حقيقية، في الصناعة والزراعة والعلم والأدب والفن، عندها يطل الله بعطف على أبنائه الذين عادوا بعد تيه طويل إلى بيتهم ليخدموه، وعلى شفاههم مزمور، وفي أيديهم مجرفة، محيين بلادهم القديمة وجاعليها مركز حضارة إنسانية»[1].

هذا هو اتجاه بناة إسرائيل، وصنّاع أمجادها وانتصاراتها.

أما في أرض الثورية العربية فكل دعوة إلى الإسلام «رجعية» وكل ذي فكر وقلم يدعو إلى الإسلام الصحيح يجب أن يكون مصيره حبل المشنقة، أو زنزانة السجن، أو العزلة الخانقة تحت الإقامة الجبرية!

يقول الكاتب المسيحي السوري الدكتور أديب نصور:

«استطاعت إسرائيل أن تعبىء لمصلحتها العاطفة الدينية عند اليهود في العالم، وتتلقى منهم العون والمزيد من العون، بينما كانت السياسة العربية الثورية تعادي الدول الإسلامية غير العربية، وتخاصم الدول الإسلامية العربية، وتصفها بالرجعية والتخلف لتمسكها بالدين، وتعتبر كل تقارب بين المسلمين تحالفاً استعمارياً، وتهمل الجانب المسيحي من العالم العربي، وتجرد إنسانها الثوري من قوة روحية هائلة، وتجرد سياستها الخارجية من بُعْد هو الأساس من أبعادها.

«إن الخطر الأكبر لم يداهمنا من انقضاض طيران العدو، وغزو ألويته ودباباتها، وإنما جاءنا من انهيار داخلي سبق المعركة بأعوام، ومن محاولة الانتحار الأدبي، والتخلي عن الحقيقة والفضائل والقيم قضى على أمم كثيرة من قبل في التاريخ، إن ما حدث داخل المجتمعات الثورية كان وحده سبباً كافياً ليجلب لنا الدمار الروحي والدمار المادي جميعاً»[2].

---

(١) انظر: النكسة والخطأ ص ١٥٩.

(٢) المرجع السابق ص ١٦٠ وراجع كتابنا «درس النكبة الثانية: لماذا انهزمنا وكيف ننتصر؟».